خواطر

محمد الخميسي

ذكرى مولد نبي الإنسانية

كان يوم الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل أسعد يوم في حياة الإنسانية، ففيه كان ميلاد إمام الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة المهداة للعالمين في زمن كانت الإنسانية في أشد ما تكون حاجة إليه ليعيد للإنسان إنسانيته وكرامته الممتهنة وحقوقه الضائعة ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ويقود الإنسانية إلى سبيل رشدها ويقوم مسيرة حياتها حتى تستقيم على صراط الله المستقيم ومنهاجه الأقوم الذي هو وحده سبيل نجاتها من خسران حياتها الأولى والآخرة وسبيل لنجاحها وفلاحها وسعادتها الحقيقية في دنياها وأخراها.

لقد ولد النبي الكريم والإنسانية غارقة في ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمات الجهل والجاهلية وظلمات الشرك والوثنية وظلمات الظلم والطغيان فكان يوم ميلاده، صلى الله عليه وسلم، يوم ميلاد النور الذي أفاضه الله على عباده الذي أخبرنا الله عنه بقوله: (لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقال عن حامله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً).

لقد كانت الإنسانية في أشد ما تكون حاجة إلى نور العلم الصحيح الذي تعرف به ربها ونشأتها ومصيرها وغاية وجودها ورسالة حياتها وسبيل نجاتها ونجاحها ورشدها وفلاحها.

وفي أشد ما تكون حاجة إلى نور الإيمان والتوحيد ليخرجها من ظلمات عبادة الأوثان سواء كانت من الحجر أم الشجر أم البشر ويحرر إنسانها من استبداد واستبعاد أخيه الإنسان له وطغيانه عليه واستغلاله له ويعيده إلى عبادة الله وحده.

وكانت في أشد ما تكون حاجة إلى نور الحق والعدل الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه ليخرجها من ظلمات الباطل والظلم الذي أفسد عليها حياتها وأغرقها في مستنقع نتن من الفساد والظلم والتظالم.

فكان ميلاد الرسول، صلى الله عليه وسلم، ميلاد لنور العلم الصحيح والإيمان واليقين الذي يبدد ظلمات الجهل والجاهلية ونور التوحيد والإيمان الذي يبدد الشرك والوثنية وميلاد للحق والعدل والإحسان الذي يبدد ظلمات الباطل والظلم والطغيان.

ولقد أشرق هذا النور وأضاء مشارق الأرض ومغاربها بفضل الله وبرحمته ثم بدعوة وجهاد رسوله الكريم، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

ومما لاشك فيه أن الحديث عن الرسول الكريم ورسالته ومآثر دعوته، صلى الله عليه وسلم، شيق وجميل والمسلمون وغيرهم في أشد حاجة إليه في زمننا هذا ليعرف المسلمون الكثير من الحقائق عن الرسول ورسالته التي غابت عن وعيهم والمفترض أنهم هم أهلها والنموذج المشهود الذي يمثلها وحملة لوائها ليراجعوا أنفسهم وينهضوا لإصلاح أوضاعهم وأحوالهم حتى يكونوا على المستوى المطلوب لأمة خاتم الأنبياء والمرسلين، وحتى يعرف غير المسلمين حقيقة الرسول الكريم ورسالته، صلى الله عليه وسلم، ويقدروا قدرها ويأخذوا على أيدي سفهائهم الذين يتطاولون عليه صلى الله وسلم وعلى رسالته.

تمر هذه الأيام فيما يشبه الصمت ذكرى مولد الفتى العربي محمد بن عبد الله في أسرة لم يكن ينتظره فيها من رصيد عدا اليتم والفقر، اللّهم غير شرف العائلة، بما لم يكن يرشحه في أفضل الحالات لأكثر من تاجر متوسط في أسواق العرب، أو سادن من سدنة البيت، ولا كانت مكة التي شهدت مولده – ولم يكن من بين سكانها من يفك الخط أكثر من بضعة نفر–.

ما كان لأكبر مفكر استراتيجي أن يتخيل مجرد تخيل أو يحلم أن تكون منطلقا – عبر ذلك الفتى اليتيم – لتحولات ستغير اتجاه التاريخ وجملة المعادلات لا في جزيرة العرب وحسب فتتوحد تحت لوائه بعد أقل من ربع قرن من نبوته عليه السلام، بل جملة المعادلات السياسية والدينية والثقافية والعسكرية في منطقة تمتد من الصين إلى جبال البريني صانعة نظاما دوليا على أنقاض النظام القديم مؤسسا على أساس تجديدي لتراث النبوات التوحيدي. فكان القوة الفاعلة في مجرى التاريخ لأكثر من عشرة قرون.

ورغم أن هذا المنتظم الحضاري الجديد دخل في معادلات صراع واستيعاب وهضم ورفض وتفكيك وتركيب للعالم القديم، فانتصر هنا فتقدم واندحر وتراجع في منطقة أخرى إلا أنه كلما ظن خصومه أنهم قد همّشوه وأخرجوه أو كادوا من المعادلة الدولية سرعان ما تنبعث فيه روح التجدد والإصلاح إحياء لروح الاجتهاد والجهاد فينتفض رادّا غزاته على أعقابهم كما حصل إثر سقوط آخر خلافة إسلامية ووقوع بلاد الإسلام تحت سنابك الغزاة، أو كما حصل أيضا خلال الحرب الباردة حيث دفع الإسلام إلى الهامش تستخدمه هذه القوة أو تلك لمصلحتها فيحارب حربها، حتى إذا انتصر المعسكر الغربي نصّب الإسلام عدوا ووجه إليه السهام، إلا أن ذلك لم يفعل إلا أن ملأ الإسلام غضبا وعبّأ قواه للدفاع عن كيانه شأن العقائد الكبرى ليس يضنيها أمر أشد من التهميش والإهمال، أما استهدافها فيحييها ويعبئ طاقاتها..

لكي نستفيد من ذكرى مولد النبي

د. صالح الضبياني

في شهر ربيع الأول من كل عام يتذكر المسلمون مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بين فريقين: أحدهما فرط في الجفاء، ولم يعد يدرك الأثر الذي أحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في البشرية، والتحرير الذي عمله رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته في إخراج العباد من عبوديتهم لبعضهم إلى عبوديتهم لله رب العالمين.

الثاني: أفرط في فهم هذه المناسبة، وحولها إلى مناسبة لإقامة الزينات ورفع الرايات وإقامة الأمسيات وترديد قصائد المدح والثناء، وكأن حظ البشرية منه صلى الله عليه وسلم محصورة في ذلك.

إن هذه الذكرى تحتم علينا أخذ العظات والعبر والدروس والتي منها:

-إن حكمة الله تعالى اقتضت أن يرسل الرسل إلى البشر لحاجتهم الملحة إلى ذلك يبينون للناس ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ سورة النساء آية: 165، ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ سورة المائدة آية: 16. وإذا كانت رسالات الرسل السابقين محددة بأزمنة وقضايا وأمكنه، فإن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت عامة خاتمة خالدة امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة، لقد جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام استجابة لدعوة أبينا إبراهيم ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾سورة البقرة آية: 129.

وبشرى أخيه عيسى ابن مريم، حيث قال ﴿يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾سورة الصف آية: 6.

وكانت رؤيا أمه حين رأت في المنام قبل ولادته نورا خرج منها أضاءت له قصور الشام، ولهذا أسماه الله السراج المنير ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾سورة الأحزاب آية: 45،46.

لقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم والبشرية تعيش وضعا مشينا فهي مفتقدة الصف ممزقة الكلمة، مقاليدها بيد أعدائها يشمتون بها ويذيقونها سوء العذاب.

قال جعفر بن أبي طالب مخاطبا النجاشي، موضحا له الواقع الذي كانوا عليه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم والأثر الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم فيهم بعد بعثته (بينما نحن أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونقطع الأرحام ونؤذي الجوار، بعث الله فينا رسولا نعرف نسبه ومكانته فأمرنا بعبادة الله وحده، ونهانا عن عبادة الأصنام وأمرنا بصلة الأرحام، وحسن الجوار، وأمرنا بكل خير ونهانا عن كل شر».

وهو الذي فهمه ربعي بن عامر عند مخاطبته للمتحاورين معه قائلا: «الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

وواقع البشرية اليوم عامة والأمة الإسلامية خاصة، واقع مر مؤلم، فهل يمكن أن نجعل من الحكمة من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم منارا، وأن تدرك أمته صلى الله عليه وسلم واجبها المناط بها حيال نفسها، وحيال العالم ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ سورة البقر آية: 143، ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ سورة آل عمران آية: 104.

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾سورة آل عمران آية: 110.

إن ضياع البشرية اليوم وتيهها وخسارتها أبرز أسبابه انحطاط أمة الإسلام، فعليها أن تحسن تربية نفسها لتتمكن من قيادة البشرية نحو الخير والصلاح، وحسن الاستخلاف والقيام بواجب البلاغ المبين.

والأمة الإسلامية قادرة على حمل الأمانة شريطة العودة إلى ذاتها والتصالح مع جوهرها، ولن تتحقق العودة إلى الذات والتصالح، إلا عبر التأسي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل الرسالة والصبر على آلامها وتجاوز العوائق.

-لقد تكفل الله بحفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته من مجموعهما باعتبارهما البيان النظري والشرح العملي للكتاب الكريم، فسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظة مسجلة مخلدة ففي الوقت الذي ضاعت فيه سير الأنبياء، وما بقي منها لا يكون حلقات متصلة وليس له إسناد يصلنا بهم إلا أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت محفوظة حكت لنا كل أحواله وأقواله وأعماله وتقريراته وأوصافه الخلقية وصفاته الخلقية وسيرته كلها فليس هناك دائرة حمراء في سيرته لا تروى، من علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بزوجاته، في علاقته بأبنائه وأحفاده في علاقته بالناس.

حكت لنا كل تصرفات رسول الله شابا طاهرا نقيا وزوجا رحيما ووالدا حانيا وعابدا نقيا خاشعا باكيا وقائدا سياسيا ذكيا وقائدا عسكريا.

سيجد كل شخص في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعينه على أعباء الحياة وتكاليفها ووظائفها، فدراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نبراس لحياتنا للآباء للمربين، للقادة، للحكام والمحكومين للأزواج.

فحاجتنا ماسة إلى دراسة سيرته واتخاذها نبراسا، بتعهد أبنائنا عليها في مراحل طفولتهم المبكرة، وعقد حلقات ودروس في مؤسساتنا وأسرنا لدراستها لنتفيأ ظلالها ونعيش أنوارها وننشأ على قيمها وأخلاقها، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة والمثل الأعلى وإزالة ما صرفنا عن التأسي به إلى اتخاذ رموز بشرية، وقدوات قاصرة وإزالة الجفاء الذي اتسم به بعض المسلمين في التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

سنته وسيرته

-لقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأثر الذي أحدثه في حياتهم فأحبوه حبا جما وفدوه بأرواحهم وفلذات أكبادهم، بل قدموا راحته على راحتهم فقد قال المشركون لخبيب بن عدي حين أسروه وصلبوه وعذبوه تعذيبا شديدا، أتحب لو أن محمدا مكانك، فقال لهم والله ما أحب أن أكون في أهلي آمنا مطمئنا ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة.

يستشهد أحدهم وعند فراقه لإخوانه يقول لهم بلغوا رسول الله عني السلام وقولوا له جزاه الله خير ما جزي نبيا عن أمته، وإياكم أن يصل إليه الأعداء وفيكم عين تطرف أي حب هذا؟!

إنه الحب الذي انبثق عنه التنفيذ لتعاليمه وتوجيهاته عملا بقوله تعالى: ﴿قل إن كنت تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ سورة آل عمران آية: 31،32.

إن المظاهر الجوفاء الذي يحدثها بعض المسلمين لإظهار حبهم لرسول الله مع مخالفتهم لشريعته وبعدهم عنها ليست دليل محبة صادقة، إذ حبه في إتباعه والتأسي به.

﴿قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ سورة التوبة آية 24.

﴿فالذين آمنوا به وعزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ سورة الأعراف آية: 157.

- إن الدعاة إلى الله اختاروا لأنفسهم شرف وراثة النبي صلى الله عليه وسلم حالا ومثالا لذلك فهم المعنيون أولا بعرض أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنائهم لأنفسهم وعدم النسيان لها في زحمة العمل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ما شغلته متاعب الحياة ومتاعب الدعوة وما شغلته حياته الخاصة وحاجات المسلمين من توجيه وتربية، وما شغلته الجبهات التي كانت تقف له بالمرصاد تريد أن تقتلع جذوره، وأن تهدم دعوته من أساسها، الوثنيون واليهود والنصارى والمجوس والطابور الخامس من المنافقين، لم يشغله كل ذلك عن قيام الليل وإطالة الركوع والسجود وسؤال الله التوفيق والسداد، وحياة الرسول التعبدية واضحة جلية؛ لأن انتصارهم على أنفسهم مقدمة الانتصار الحقيقي في واقع الحياة.

جذور الإعاقة الحضارية في تراث المسلمين..

مجيب الحميدي

الدين الثابت هو ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، سواء في الجانب الفلسفي(تصورات العقيدة) أو في الجانب العملي(نظم الشريعة).هذا هو الثابت الذي يمتلك وحده القداسة والعصمة، أما طرائق المسلمين في فهم العقيدة والشريعة من خلال الفكر والفقه فهي جهد بشري خالص يحمل استعدادات الخطأ مثلما يمتلك إمكانيات الصواب.هذا ما يؤكده الدكتور فؤاد البنا أستاذ الفكر السياسي الإسلامي في جامعة تعز في دراسته الجديدة التي صدرت مؤخرا عن مؤسسة أبرار تحت عنوان" انتقام الأفكار.. جذور الإعاقة الحضارية في تراث المسلمين" وتهدف الدراسة إلى البحث في الجذور التي أعاقت نهضة المسلمين أسوة ببقية الأمم الكبرى في هذا العصر، وتفترض الدراسة وجود مجموعة من العوامل التربوية والثقافية المرتبطة بطريقة فهم المسلمين وتطبيقهم للإسلام في تدينهم الحياتي؛ ساهمت في تشكيل أزمة فكرية وتربوية تتبدى من خلال غلبة الخطاب العاطفي وخفوت خطاب العقلانية مما يعني كما يؤكد صاحب الدراسة أن المسلم اليوم يحاول الطيران بجناح الإخلاص دون جناح الفقه، ونتج عن هذه الظاهرة الكثير من الآفات التي تتجسد في القراءات المنقوصة والمجزأة للإسلام، مما يؤدي إلى ترسيخ الأمية الفكرية التي لا تفقه منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في فهم الإسلام وتنزيله، وتتسبب في صناعة معامل تتكفل بتحويل النعم إلى نقم والمنح إلى محن والمزايا إلى رزايا. ويرصد الكاتب ملامح هذه الأمية من خلال واقع الفجوة الكبيرة بين الإسلام والمسلمين، فالإسلام يقف على قمة الثقافات العقلانية الحضارية الراقية، والمسلمون يقبعون في قعر التخلف الحضاري، مع أن الإسلام هو الصانع الأول لنور القيم الحضارية، كالعلم والتفكير والعمل والأخلاق والحرية والعدل الاجتماعي واحترام الأخر وكرامة الإنسان والشورى واحترام الوقت إذ جعل الإسلام عمارة الأرض مرادفاً للعبودية ودعا الناس للإيمان به عملياً من خلال ما يزيد عن سبعين شعبة، معظمها مرتبط بعمارة الحياة وخدمة حقوق الناس.أما المسلمون فهم في ظلام النقائض لهذه القيم كما يشهد حال أغلب المسلمين، ويخلص الكاتب إلى أن الإسلام عملاق بمقاييس الحضارة والتمدن والتقدم والإنسانية في حين أن المسلمين أقرب إلى الأقزام بل يكادون أن يكونوا نكرات وأصفارا تشكل ظاهرة الغثائية" كثير ولكن غثاء كغثاء السيل".

الكتاب يتكون من ثمانية مباحث، ويستحق كل مبحث من مباحث الكتاب أن ينظر إليه باعتباره دراسة مستقلة، وفي كل مبحث يتناول الكاتب، محورا مركزيا ومؤثرا رئيسيا في واقع التخلف الحضاري، وفي إعاقة الجهود النهضوية التي رواحت مكانها في كثير من دوائر الحياة، حتى أننا اليوم نختتم العقد الأول من القرن الجديد، ولا نكاد نلمس أي تراكم لجهود نهضوية حقيقية في واقع الأمة. ويفترض الكاتب أن جذور هذه الإعاقة تتمثل في غياب المنهجية الرشيدة للاستفادة المثلى من القرآن الكريم والسنة النبوية والعقيدة الإسلامية والتراث، و غياب المنهجية في التعامل مع كثير من الثنائيات وأزمة التشوهات القيمية.

وفي تشخيص الباحث لإشكالية العلاقة بالقرآن الكريم، أشار الباحث إلى عدد من التشوهات التي تحول دون الاستفادة المثلى من القرآن كالقراءة الجزئية والقراءة الحرفية الظاهرية، والقراءة الباطنية المتكلفة، وميراث التفسيرات المكتظة بالإسرائيليات، وتغليب الاهتمام الشكلي على الاهتمام الجوهري.

وفي ميدان السنة النبوية حدد الكاتب أهم الأخطاء في التعامل معها، كالقراءة القاصرة والخلط بين ما هو رسالي وما هو بشري، والفهم الجبري لأحاديث الفتن والتواكلي لأحاديث البشارات، وفي الميدان العقدي أشار الباحث إلى خطورة تحويل جوهر العقيدة إلى مظاهر فارغة، والفهم السلبي للقدر وتدمير المنهج السني بالانتظار للأسوأ من الأيام وانتظار الكرامات، والمهدي المخلص.

وتطرق الكاتب إلى التأثرات السلبية للخلط الشائع بين الثوابت والمتغيرات والمقاصد والوسائط وغياب الفقه الجماعي وتناول الكاتب إشكالية تقديس التراث وإدخاله ضمن دائرة الثوابت، وعدم التفريق بين كتابات العلماء وبيئاتهم وتجميد الفكر السياسي، وفي المجال القيمي حذر الكاتب من الخلط بين الوجهين الحضاري والاستعماري للغرب وضعف قيم الموضوعية والوقوع في فخ التهويل والتهوين وانفصام معاني الشعائر عن مبانيها، و وتطرق الكاتب في المباحث الأخيرة إلى خطورة غياب المشروع الحضاري المتكامل مشيراً إلى ما نتج عن هذا الغياب من تغييب التفكير بالاستفادة من المزايا الجغرافية، والتاريخية، ووقوع كثير من دول العالم الإسلامي فريسة سهلة للاستعمار الخارجي والاستبداد الداخلي وإخفاق الدولة القطرية الوطنية في تحقيق أهدافها في توفير التنمية والحرية والاستقلال لمواطنيها.